

وَتُعَدُّ افْضَلُ السِّيَاسَاتِ الْخَارِجِيَّةِ النَّاجِحةُ هِيَ تُلْكَ السِّيَاسَاتُ الَّتِي يَعْمَلُ عَلَى تَنْفِيذِهَا جَهازُ دِبْلُومَاسِيٍّ كَفُؤٌ يَجْمِعُ بَيْنَ الْمَعْرِفَةِ بِعِلْمِ الدِّبْلُومَاسِيَّةِ وَفَنْوُنَهَا، وَبَيْنَ التَّجْرِيْبِ وَالْمَمارِسَةِ.

وَبِخَلْفِهِ تَصْبِحُ الدِّبْلُومَاسِيَّةُ عَقْبَةً أَمَامَ السِّيَاسَةِ الْخَارِجِيَّةِ فِي تَحْقِيقِ أَهْدَافِهَا.

## نشأة وتطور الدبلوماسية

### اولاً - الدبلوماسية في العصر القديم - المجتمعات البدائية :

يرجع تاريخ الدبلوماسية الى اقدم العصور ، وكانت المجتمعات البدائية تقيم العلاقات وتوفد عنها الممثلين لإجراء المفاوضات في بعض المناسبات . وعلى الرغم من ان الحروب بين الشعوب القديمة كانت تعد من الامور الطبيعية الا انه كان يتخلل تلك الحروب مراحل من التوقف والفتور يتقابل فيها ممثلوها للمساومة في شروط فض المنازعات او انهاء الحرب او تكون نوع من التحالف بين فريقين أو لمجرد تباكي بعضها امام البعض الآخر بقوتها وبأسها . وبذلك يمكن القول ان اقدم الشعوب كانت تمارس "شبه مفاوضات دبلوماسية" يقوم بها ممثلون يمكن ان يسموا الى درجة ما بـ "الدبلوماسيين" .

### ثانياً - الدبلوماسية في الشرق القديم :

1- وادي الرافدين ووادي النيل: عندما ظهرت الحضارات القديمة في وادي الرافدين ووادي النيل ، اهتمت هذه الحضارات بتنظيم علاقاتها الخارجية عن طريق تبادل السفراء . ويعود ذلك سجلات ومخطوطات كل من وادي الرافدين ووادي النيل القديمة الحافلة باحترام السفراء من البلد الاخر وتقديسها لأعمالهم . وان عقد المعاهدات والتحالفات كانت من الامور المألوفة لدى شعوب هذه الحضارات ، وان هذه المعاهدات كانت تعقد لعدد من المناسبات التي من أهمها معاهدات الحرب والصداقة بينها والجوار وغيرها ، حتى ان هنالك معاهدات تضمنت قواعد قبول وتسليم اللاجئين السياسيين .

## سازم سیاست

ومن الأمثلة على هذه المعاهدات : معاهدة ناران سن عام ٢٥٠٠ ق.م في استمرار العلاقات الودية بين الملك ناران سن و امراء آفان في وادي الرافدين ، و "معاهدة قادش" التي عقدت عام ١٢٧٨ ق.م في وادي النيل لاستعادة العلاقات الودية بين فرعون مصر وملك خيتا.

٢- الدبلوماسية في الصين والهند القديمة : لقد عرفت الحضارات القديمة في الصين والهند ممارسات دبلوماسية متقدمة فكان ترسل و تستقبل المبعوثين ، وكان الغرض من ذلك استقصاء المعلومات السرية واعداد الترتيبات للتمهيد لإيجاد الحلول للمشاكل عن طريق التفاوض والوصول بعدها إلى الاتفاقيات . كما كانت هذه الحضارات تقوم بالتفاوضات أثناء الحروب بهدف الوصول إلى عقد معاهدات الصلح والسلام . وتشير سجلات وقوانين الهند القديمة بوجه خاص أن واجب الملوك تعين السفراء من بين الرجال الذين يتمتعون بالمكانة الطيبة والشرف والقدرة العالية لتمثيل بلادهم على أحسن وجه . وكان بين المؤهلات التي يجب توفرها في من يكون سفيراً أن يمتلك قدرة وقابلية عالية على فهم همسات متحدثيه وأشاراتهم وتقاطيع وجوههم .

### ثالثاً- الدبلوماسية في أوروبا القديمة :

١- الدبلوماسية عند اليونان (الاغريق) : هناك من يرى ان الدبلوماسية المنظمة بدأت مع نشوء الدولة المدنية في اليونان ، الواقع ان نظام الدولة المدنية هو حدث جديد لم تمارسه الأقوام التي سبقتهم بنفس الصورة التي مارسها اليونان ، اذ اوجد هذا النظام المئات من المدن المجاورة ذات المصالح المشتركة التي كان عليها أن تتبادل المندوبين بينها لتأمين هذه المصالح ، بحيث دعت الضرورة إلى ايجاد قواعد عامة لتنظيم العلاقات الدبلوماسية بينها . ولما كانت حياة كل من هذه المدن تتوقف إلى حد كبير على مدى تعاونها مع غيرها في المجالات الحيوية ، فقد كان طبيعياً أن تبعث إلى جاراتها من مواطنها الممتازين الذين يستطيعون أن يمثلوها خير تمثيل ، وكان يشترط في السفراء أن يكونوا منمن يحسنون فن الكلام والخطابة والذكاء .

وسعـت الدول المدنـية الـأـغـرـيقـيـة عـلـى إيجـاد نـظـام وـقـوـاعـد عـامـة لـلـتـمـثـيل وـالـتـفاـوض الدـبـلـومـاسـي لـتـسـري عـلـى جـمـيعـهـا ، وـمـن هـذـه القـوـاعـد : حـرـمة المـبـعـوثـين الدـبـلـومـاسـيـن ، فـقد كـانـت مـخـالـفة هـذـه الحـرـمة اـمـرـاً تـبـذـه تـقـالـيد حـسـنـ الـجـوار . اـمـا تـعـيـين السـفـراء لـاجـراء المـفـاـوضـات فـكـان مـرـهـونـا بـرـئـيسـ الـدـولـة ، وـكـانـ كلـ سـفـير يـتـزـود بـالـتـعـلـيمـات الشـفـهـيـة وـالـتـحـرـيرـيـة كـي يـسـترـشـد بـهـا اـثـنـاء الـقـيـام بـمـهـمـتـهـا . كـما وـضـعـ اليـونـانـيون قـوـاعـد قـبـول وـتـسـلـيم الـلـاجـئـين السـيـاسـيـين بـيـنـ الدـوـلـ الـأـغـرـيقـيـةـ الـمـنـشـرـةـ بـكـثـرـة .

ولـمـ يـقـنـصـ اليـونـانـ فيـ تـأـكـيدـهـمـ عـلـى إـجـراءـ المـفـاـوضـاتـ الدـبـلـومـاسـيـةـ الفـرـديـةـ فيـ تـوجـيهـ العلاقاتـ بـيـنـهـمـ قـبـلـ اللـجوـءـ إـلـىـ الـحـربـ فـحـسـبـ ، وـانـماـ اـبـتـدـعـوا طـرـيقـةـ عـقـدـ المؤـتمـراتـ الـاقـلـيمـيـةـ الـتـيـ يـطـلـقـ عـلـيـهاـ المؤـتمـراتـ (ـالـأـمـفـكـيـونـيـةـ)ـ وـكـانـتـ غـايـتهاـ التـوـصـلـ إـلـىـ مـبـادـئـ عـامـةـ جـدـيـدةـ تـحـفـظـ المـصالـحـ الـمـشـتـرـكـةـ وـتـلـزمـ الـأـعـضـاءـ تـطـبـيقـهاـ كـماـ تـقـرـضـ العـقـوبـةـ عـلـىـ مـخـالـفـيـهاـ .

٢ - الدـبـلـومـاسـيـةـ عـنـ الرـوـمـانـ : أـنـ طـبـيـعـةـ الرـوـمـانـ لـمـ تـكـنـ ذاتـ اـسـتـعـادـ لـفـنـ التـفـاـوضـ ، بلـ انـ منـ اـوـلـ اـتـجـاهـاتـ الـإـمـپـراـطـورـيـةـ الرـوـمـانـيـةـ السـيـطـرـةـ ، الـتـيـ اـسـتـمـرـتـ قـرـونـ عـدـيـدةـ عـلـىـ الشـعـوبـ الـأـخـرـىـ ، سـيـطـرـةـ تـقـومـ عـلـىـ القـوـةـ الـعـسـكـرـيـةـ الـبـعـيـدةـ عـنـ الدـبـلـومـاسـيـةـ .

وـاستـخـدـمـ الرـوـمـانـ الدـبـلـومـاسـيـةـ فـيـ أـوـاـخـرـ عـهـدـ اـمـبـراـطـورـيـهـمـ ، وـلـكـنـ اـسـتـخـدـمـوـهـاـ بـطـرـيـقـةـ غـيرـ ماـ جـاءـ بـهـ الـأـغـرـيقـ ، فـكـانـتـ بـغـرـضـ نـشـرـ نـفـوذـهـمـ ، وـسـلـطـانـهـمـ ، فـكـانـوـاـ يـسـتـخـدـمـونـ الدـبـلـومـاسـيـةـ لـإـثـارـةـ الـمـنـافـسـةـ بـيـنـ جـيـرـانـهـمـ لـغـرضـ اـخـضـاعـهـمـ جـمـيـعـاـ وـسـهـوـلـةـ التـغلـبـ عـلـيـهـمـ بـالـنـهاـيـةـ . كـماـ اـسـتـخـدـمـوـهـاـ لـشـرـاءـ صـدـاقـةـ الشـعـوبـ بـالـدـهـاءـ وـالـمـالـ لـغـايـاتـهـمـ الـخـاصـةـ . وـمـنـ هـنـاـ طـلـبـواـ مـعـوـثـيـهـمـ أـنـ يـكـونـواـ دـهـاءـ ، اـقـوـيـاءـ الـمـلـاحـظـةـ وـذـلـكـ لـلـكـشـفـ عـنـ نـقـاطـ ضـعـفـ الشـعـوبـ الـتـيـ يـمـثـلـوـنـ بـلـادـهـمـ فـيـهـاـ لـكـيـ تـسـتـخـدـمـ تـلـكـ النـقـاطـ بـالـذـاتـ وـسـائـلـ لـخـلـقـ الـمـنـافـسـةـ بـيـنـهـمـ .

وـلـكـنـ كـلـ هـذـاـ خـدـمـ اـمـبـراـطـورـيـةـ رـوـمـاـ اـيـامـ قـوـتـهـاـ فـقـطـ ، فـحـينـماـ دـبـ الضـعـفـ فـيـهـاـ ، عـملـتـ تـلـكـ الـأـسـالـيـبـ بـذـاتـهـاـ عـلـىـ اـحـلـ الـانـقـاسـمـ مـحـلـ الـوـحـدـةـ وـالـمـكـرـ مـحـلـ الـحـكـمـ وـالـدـهـاءـ مـحـلـ الـمـبـادـئـ الـخـلـقـيـةـ . الـأـمـرـ الـذـيـ اـضـفـيـ عـلـىـ الدـبـلـومـاسـيـةـ سـمـعـةـ سـيـئـةـ وـاـوـصـلـهـاـ إـلـىـ مـسـتـوىـ وـاطـئـ ، كـماـ اـنـقـلـتـ هـذـهـ الطـرـقـ إـلـىـ الدـوـيـلـاتـ الـتـيـ نـشـأـتـ فـيـمـاـ بـعـدـ . وـلـمـ يـقـنـصـ ذـلـكـ عـلـىـ دـوـيـلـاتـ اـيـطـالـياـ فـقـطـ ، بلـ اـنـقـلـتـ إـلـىـ اـقـسـامـ اـوـرـوـبـاـ الـأـخـرـىـ فـيـ الـقـرـونـ الـتـالـيـةـ ، فـالـدـبـلـومـاسـيـونـ فـيـ